

حوار

حول الصدق والكذب

شخصيات المحاوره:

صونيا: صاحبه المنتدى الأدبي سيدة ثرية جميلة مثقفة تملك فكراً ليبرالياً وتؤمن بأن الحرية والعدالة أشياء تستحق أن يناضل الإنسان من أجلها.

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل، وسيادة قوانينه.

حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبب.

ورد: مسؤولة في جمعية لحقوق الإنسان.

هاني: مهندس.

مينرفا: رئيسة جمعية نسائية.

صونيا: كم يعتزُّ هذا المنتدى وتسعده العزّة بأن يستضيف مثقفين فهموا أنّ الثقافة سلماً للتطور والإرتقاء، سواءً على الصعيد الفردي لتمكين الإنسان من بناء شخصيته الذاتية المتوازنة. أو على الصعيد الإجتماعي للمساهمة في بناء مجتمع متناسق الشرائح متوازن السلطات. حوارنا هذه الأمسية هو ملح طعام التوازن وخمير عجينه، إنه الصدق بالجان واللسان والأركان.

حسام: لا أدري إن كان هناك مجالٌ للإعتزاز في بـ□د تُصادر فيها عقول الأفراد بحجة الولاء للعقل الجمعي، وتصادر فيها حرية الأفراد بحجة صيانة تقاليد الجماعة وعاداتها وطقوسها ومثلها العليا. إنني لأشعر أنّ المدى المسموح للفرد أن يتحرك فيه للتعبير عن ذاته بصدق وأمانة مدى محدودٌ جداً.

ورد: كيف يستطيع الإنسان أن يكون صادقاً إذا كان عاجزاً عن التعبير عن ذاته تحت ألف ذريعة وذريعة!

هاني: ولماذا يكون عاجزاً عن التعبير عن ذاته إلا إذا كان جباناً رعيدياً.

مينرفا: أظنُّ كلمة جبان قاسية وقد وقعت في غير موقعها فلماذا لا نقول إلا إذا كان خائفاً.

سليمان: الخوف هو السبب الرئيسي الذي يمنع الإنسان من التفكير بصوت مرتفع ومن التعبير عن أدقّ خلجات نفسه بصدق وأمانة. منذ إطلـ□لة الإنسان على الدنيا وأهله يزرعون الخوف في أعماقه. هذا التصرف صحيح هذا التصرف خاطيء، هذا العمل حـ□ل هذا العمل حرام. يولد المرء وسيف الخوف مسلطاً على عنقه، يذهب إلى المدرسة فيجد كابوس الخوف أمامه، يخاف أن يسأل عما لا يفهمه كي لا يوصف بالغباء، يخاف أن يتصرف على سجيته كي لا يوصف بالتخلف، يخاف أن يرسب في الإمتحانات كي لا يقول له والده أنّ الأموال التي تصرف عليه تذهب هدراً، يخاف أن يُظهر أحاسيسه تجاه رفاقته كي لا يُقال أنه يغويهنّ ليخرجهنّ عن السراط المستقيم. ويصل الخوف عند المرء في هذه المرحلة أنّه يخاف أن يفكر فربما ابتكر رأياً يتناقض مع الأفكار الجاهزة والمقولة سلفاً، ويخاف

أن يحلم كي لا يظنّ هو نفسه أنّه يبتدع لذاته عالماً غير عالم الجماعة المؤلف والذي هو سنّة سلف صالح عاش قبل ألف سنة ونيّف.

صونيا: وكأنك تريد أن تقول أن الخوف يفقد الإنسان حرّيته وبصمة هويته الذاتية ليجعل منه رقماً في جدول الجماعة، أو عبداً يتصرف بناءً على حركة من خارجه وليس بناءً على حركة ذاتية هو صاحبها.

حسام: وأين ذهبت يا صديقنا سليمان بالخوف من البطالة بعد التخرج والخوف من الفقر عدوّ البشرية الأول وكذلك الخوف أن لا يوضع المرء في المكان الذي يتناسب مع إمكانياته.

ميرفا: ما قاله سليمان وعقت عليه صونيا يدلّ أنّه من الصعب على الإنسان الخائف أن يكون حراً، ومن الصعب على الإنسان غير الحرّ أن يكون إنساناً صادقاً. فالعبد هو بالفطرة كاذبٌ لأنّ همّه أن يُرضي وليّ أمره لا أن يُرضي الحقيقة وينطق بها.

صونيا: الإنسان تحت وطأة الفقر المدقع ينحصر تفكيره برغيف الخبز، ومن أجل تأمين هذا الرغيف يبيع حرّيته في سوق الكساد ويبيع كرامته في سوق النخاسة. إنها المأساة الإنسانية التي تدور في حلقات مفرغة، يتناسل الفقراء بها وعي شره مستظلين بتبريرات غيبية لها طابع القداسة فتتعدم إمكانية أي إستنهاض أو تخطيط لإستنهاض.

حسام: ويتنازل الإنسان عن هويته كإنسان ليرتد إلى مرتبة الحيوان فينحصر نشاطه وملذاته بالحصول على الطعام والجنس، ويستعمل كل ما لديه من دهاء ومراوغة وكذب ونفاق وحيلة للحصول على مبتغاه.

سليمان: ويترادف الفقر والجهل والمرض مع سلطات تحكم المجتمعات بالإستبداد والطغيان والقبضة الحديدية وابتزاز الفقراء في آخر نقطة دم يملكونها وآخر مجهود يمكن أن يقدموه من أجل تطوير أنفسهم، فيغرق الجميع في اليأس المرير الذي يقارب حالة الموت، هنا تدخل الأحكام الغيبية عند الفقراء المساكين فيصوّر لهم

خيالهم عوالم من المذات المحمومة المجنحة في عالم آخر سينتقلون إليه مكافأةً على صبرهم الطويل على الجوع والظلم والإرتهان، عوالم تُنزل فيها السماء موائد تغصّ بألف لون ولون. ونساء يقَدِّمن لذات لم تخطر على بال بشر. ويبدأ هؤلاء الفقراء بمضغ أحـمهم حتى يصبحوا حشاشي أحـمـم وحتى تزدوج شخصياتهم، فهم بواقعهم الجسدي والعقلي في مكان وفي أحـمهم وهلوساتهم في مكان آخر. فهل تطلبون صدقاً في هكذا حال؟

ورد: الفقر والخوف والإرتهان لطغيان حكام مستبدين عوالم تنمي حاسة الكذب عند الإنسان وتضعف حاسة الصدق. أليس هذا ما أردتم قوله بصيغ مختلفة؟

مينرفا: أشار سليمان إلى الإنسان الذي يعيش بواقعه الجسدي والعقلي في مستنقع الفقر والذل والجهل والإرتهان، ويعيش بأحـمه وهلوساته الخيالية في جنة من النعيم فيها الموائد العامرة وكل ما لذ وطاب من خمر ونساء وترف ومجد وسلطان. هذا الإزدواج في الشخصية أليس نموذجاً من نماذج الكذب. هل يمكن للإنسان الصادق مع نفسه ومع الآخرين أن يكون مزدوجاً؟

هانى: لا أفهم ما الذي يجبر الإنسان أن يصبح مزدوجاً ليقع في شرك الكذب. لماذا لا يثور الفقير على فقره أو على العوامل التي تسبب فقره، والمرتهن لماذا لا يتمرّد على من يحاول ارتهانه، لماذا يرضخ ويستسلم وييأس حتى يغدو واقعه في مكان وأحـمه في مكان آخر.

صونيا: كان أفـمـطون يقول أنّ فضيلة الفقر هي العفة وفضيلة الغنى هي الكرم وفضيلة السلطة هي العدالة.

فلو تعفف الفقراء لما استطاع الأغنياء أن يبتزّوهم في كراماتهم ويسخروهم لأغراضهم التي غالباً ما تكون دنيئة. ولو انطلق الضعفاء من قاعدة أن طعم الموت في الفم أحلى ألف مرة من طعم المذلة والإرتهان لما استطاع الأقوياء أن يذلوا ضعيفاً ويرتهنوه.

سليمان: لا يمكن للإنسان الذي يعيش بغرائزه وأحاسيسه البدائية لا بعقله أن يكون صادقاً. لأنّ الصدق لا يستطيع أن يكون معلقاً في الهواء بل يجب أن يقف على أرض الحقائق العقلية البديهية والحقائق البرهانية. فالأفراد والجماعات التي تبني حياتها على رمال الأوهام، فنظرتها إلى اللذة أو هام، ونظرتها إلى السعادة أو هام، ونظرتها إلى الكرامة أو هام، ونظرتها إلى العدالة أو هام. كيف تطلب منها أن تكون صادقة. لا يمكن برأيي للصدق أن يكون متناقضاً مع الحقيقة.

ورد: كـ مك يكتنفه الغموض من كل جوانبه هل يمكن أن تقدم أمثلة توضيحية؟

سليمان: إذا اعتبر الأفراد أنّ سلطة الحاكم هي سلطة أعطيت له من الله، وأنه يملك تواصل مع الله فهو يجسد إرادته على الأرض. هل يمكن بعد ذلك محاسبة الحاكم وتنظيم سلطته بقوانين ومؤسسات؟ أو بالأحرى هل يمكن بعد ذلك التشكيك بصحـه وأحقيته؟ وإذا اعتبر الأفراد أنّ المرأة لم توجد إلا لخدمة الرجل والترفيه عنه. هل يمكن بعد ذلك تنظيم عـقتها بالرجل بقوانين تثمر الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة والمساواة في الحقوق والواجبات. وهل يمكن تأسيس أسرة صالحة لتربية أولاد أصحاء غير مشوهين عاطفياً وعقلياً؟

ميرفا: لا شك أنّ الصدق مرتبط بالحقيقة والكذب مرتبط بالأباطيل والأوهام. ولا شك أيضاً أننا في هذا الشرق المسكين نتنافس الأباطيل ونزفر الأوهام. أين هي الحقائق التي نقف على أرضها الصلبة لنحرق بشمس الحرية والكرامة بأجفان لا ترتجف!

حسام: الإنسان الصادق هو الإنسان الحرّ الذي يملك قراره الموقّع ببصمته الذاتية. فالإنسان الحرّ قراره دائماً قراراً حرّاً مستقل مسؤول. ولأنه كذلك فهو قرارٌ صادقٌ يعبر عن ذاتية صاحبه وعنادياته.

هاني: عند ذلك يصبح الإنسان الكاذب عبداً مرتهنأ، قراره هو ظلُّ لقرار سيده، لأنّ إرادته تكون مستنسخة عن إرادة سيده. وقد لا يكون سيده رجلاً من لحم ودم فقد يكون سيده تقاليد جامدة قد استعبدته، أو شهواتٍ منحرفة قد استعبدته، أو عقداً نفسيةً

قد استعبدته. فالإزدواجية مثلاً التي تحدث عنها سليمان ألا نعتبرها عقدة نفسية قد استعبدت صاحبها فغداً ظاهره غير باطنه، وعقله غير خياله، وواقعه غير أحده.

صونياً: أكثر رجال الشرق مزدوجون نفسياً ولناخذ مثلاً على ذلك عفتهم بالمرأة. فالرجل الشرقي يسعى للإقتران بفتاة عذراء طاهرة فاضلة لا تعرف عن عالم الرجال شيئاً ولا عن عالم الحب والجنس شيئاً. وبالمقابل يسعى لبناء عفتهم مع نساء يتقن الإغراء والخفة والمجون والتفنن في الملمات الطبيعية والشاذة بغية المتعة المجنحة التي يحلم بها ليل نهار.. أليس هذا هو واقع الحال؟

ورد: وهذه الإزدواجية الكاذبة في الرجل تحول المرأة الزوجة إلى امرأة تعيش الكذب في اليقظة والمنام فهي تدعي أمام زوجها البرودة والعفة والحشمة وعدم الرغبة لكي يرسخ في دماغه أنها امرأة فاضلة ولكنها في خيالها تحلم مثله بالملذات المحمومة وقد تمارسها مع أول عابر سبيل. وقد لا تحلم ولكنها تمارس فقط للانتقام. وهنا تختلط الأمور، فالرجل داخل بيته متدين محتشم وقور دائماً يزن الأمور بميزان الحلال والحرام. ولكنه خارج بيته متزندق خليع ماجن متكالب على الملمات. والمرأة في هذه الحالة تعطي الرجل من بضاعته فهي تخجل أن تخلع ثيابها أمامه، وتخجل أن ترى أي مشهد غير محتشم على شاشة التلفاز أمامه، وتخجل من سماع طرفة أو نكتة أمامه. ولكنها مع صديقاتها فهي داعرة اللسان ماجنة التصرفات لا تترك قصة عن الخيانة إلا وتسردها بتفتن. عندها يصبح الرجل آخر من يعلم عن خبايا زوجته، والزوجة آخر من يعلم عن خبايا زوجها. والأولاد يرون كل هذا الكذب والنفاق أمامهم فيشربونه ليصبح طبعاً من طبائعهم في المستقبل.

سليمان: لقد أهملتم الجانب الإقتصادي في موضوع الصدق والكذب فالمجتمع الذي تعلق فيه نسبة النمو السكاني وتراجع فيه نسبة النمو الإقتصادي هو مجتمع البطالة والفقر والتنافس بالظفر والناص على رغيف الخبز وبالتالي الضياع. مجتمع أصبح فيه الغاية تبرر الوسيلة. والغاية هنا هي الحصول على المال بالحلال أو بالحرام، بالصدق أو بالكذب، بالخير أو بالشر لا فرق في ذلك. إنه مجتمع يتنافس فيه الأفراد والجماعات بشراسة الذئاب الجائعة التي تتنافس على بقايا فريسة مهترئة. في هكذا مجتمع تصبح الفضيلة هي القوة في الإنتزاع وليس الأخلاق

الحميدة، وتصبح الرجولة في القدرة على الإحتيال والدهاء والمنافقة وليس الشجاعة والمروءة. والتذاكي في الأكاذيب والشائعات وليس في معرفة الحقيقة. باختصار أنا أعتقد أنّ النمو الإقتصادي الذي يؤمّن لكل مواطن فرصة عمل تحصّن له كرامته واستقلّية قراره هو العامل الذي يساعد الإنسان أن يكون صادقاً وشجاعاً في التعبير عن نفسه بأمانة.

مينرفا: معنى كـمك هذا أننا في محيطنا الشرقي حيث النمو السكاني يسبق دائماً النمو الإقتصادي . لا يمكن أن نكون أخـقـيين بالمعنى الصحيح لمفهوم الأخـقـق، ولا يمكن أن نكون صادقين لأنّ الغاية عندنا تبرّر الوسيلة، والوسيلة هي دائماً الحصول على المال وفرص العمل المتنافس عليها منافسة ذنبية!

حسام: ولهذا نحن دائماً مرتهنون للإقطاع السياسي والإقطاع الديني والإقطاع المالي. لأننا أمام خيارين لا ثالث لهما. إما الإرتهان والإستزلام لهؤلاء الناس الذين يملكون وحدهم المفاتيح السحرية للحصول على المال وفرص العمل وإما الهجرة والتوهان في بـد الله الواسعة.

هاني: ولهذا السبب إختار أحرار هذه البـد الهجرة رفضاً لنير الإرتهان والإستزلام. ولكنّ إختيارهم برأيي المتواضع إختيارٌ ملتبس يحتمل الصحة ويحتمل الخطأ. فهو صحيحٌ لأنه يمثل العزّة والإباء ولكنه خاطيءٌ لأنه هروبٌ من المجابهة والتصدي. ولذا ستبقى مراكز القوى الإقطاعية ممسكة بكل مفاصل المجتمع ومتحكمة بصيرورته.

حسام: لا شكّ أنّ هناك فرقٌ بين الهرب من العبودية أو مجابهة العبودية، فالهرب من العبودية لا يعني الحصول على الحرية. فالحرّ دائماً شجاعٌ غير جبان، وهو يفهم الحرية فهماً جماعياً ولا يكتفي بمفهومها الفردي لكي يكون الخـصـص فردياً. وخير مثال على ذلك سقراط الرجل الحرّ الذي لم يهرب من عبودية الإستبداد والأباطيل بل جابهها ليكسر قوة الحقيقة وجوهرها العادل الحرّ المسؤول. فقال كلمته بصدق وشجاعة ودفع حياته ثمن ذلك وهو في ذروة الإعتزاز والإباء. بل في ذروة الإنتصار للحقيقة والعدالة.

ورد: لم أكن أتصور قبل هذا اللقاء أنّ هناك عـقـبة بين الصدق والحرية وبين الإستبداد والكذب وبالتالي كنت غافلة عن الفجيرة التي يعيشها هذا الشرق الذي يحكمه الإستبداد منذ آلاف السنين.

ميرفا: لا بدّ للإنسان في هذه الحالة أن يسأل كيف يكون صادقاً مع نفسه وكيف يكون صادقاً مع الآخرين؟

سليمان: على الإنسان أن يتصالح مع قوانين منطق العقل ليفهم أنّ ذروة السعادة هي في اكتساب المعارف الكليّة والفضائل البرهانية فيعيش في قلب الحقيقة وتعيش الحقيقة في قلبه. عندها يتمتع بلذة الصدق التي هي في واقع الأمر لذة أن يعيش الإنسان إنسانيته التي تحققت بمعاينة الحقيقة.

صونيا: أتريد أن تقول أنّ معيار الصدق هو أن نزن الأمور بميزان منطق العقل. فما قبله العقل يعتبر صدقاً وما رفضه يعتبر كذباً؟

حسام: ولا تنسي أيضاً ميزان قوانين الطبيعة. فما تناغم مع قوانين الطبيعة يعتبر صدقاً وما خالفها يعتبر وهماً وأكذوبة كبرى.

هاني: ولكن كل الناس تقول اليوم أنّ الحقيقة نسبية تختلف من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن زمن إلى زمن.

سليمان: بديهيات العقل والكليات المجردة حقائقٌ صادقةٌ ثابتة في جوهرها، فهي المحور الذي تدور حوله إنسانيتنا. أما الأعراض فهي متحركة متغيرة تلبس لكل حالة لبوسها. والإنسان العاقل يعرف كيف يميز بين الجواهر الكلية وبين الجزئيات العرضية.

ورد: أفهم من كل ذلك أنّ الإنسان الصادق مع نفسه يجب أن يبني مواقفه وقراراته على حقائق وليس على أوهام. ويجب ألا يكون هناك تضادد بين ما يريده عقله وما تريده عواطفه وما تريده غرائزه.

صونيا: مأساة واقعنا الإنساني هي أنّ ما تريده غرائزنا مخالفتُ لما تريده عواطفنا، وما تريده عواطفنا مخالفتُ لما يريده عقلنا.

هاني: لم أعد قادراً على فهم طروحاتكم فهماً وضحتم الأمور؟

صونيا: الغرائز تهوى أخذ الأشياء بالغلبة والإغصاب والإفتراس. فأنتم الرجال مثلاً تشتتهون إفتراس أيّ امرأة جميلة تصادفونها. وإذا ما عجزتم لضعفكم وخوفكم من القوانين والعادات، وليس لكرم أخقكم، إفترستموها بخيالكم وأحقكم. أما عواطفكم فتريد حباً رومنسياً تتلذذون فيه بإظهار عذابكم وهرق دموعكم وسهاد أعينكم. أما عقولكم فتريد شريكة حياة لها مواصفات الصدق والأمانة والفضيلة والعفة والغيرة على بناء أسرة ناجحة فاضلة. ألا ترى في كل هذا تبايناً بل صراع أضداد مريب؟

ورد: هل معنى ذلك أنّ الشرقي متوحشٌ بغرائزه حتى ولو كان متمدناً بعقله وبين بين بعواطفه؟

مينرفا: هل هذه هي الإزدواجية التي أشار إليها سليمان واعتبرها مظهراً من مظاهر الكذب؟

صونيا: لو لم يكن الأمر هكذا فكيف أجاز الشرقي لنفسه أن يقترب بطفلة بالكاد جاوز عمرها العشر سنوات ويجد من يبرر له هذا المسلك؟

حسام: المأساة هي مأساة إنسانية وليست مأساة شرقية. إنها مأساة الإنسان الكاذب الذي يقنع نفسه بالأباطيل، إنها مأساة كل إنسان يخالف قوانين منطق العقل بل يحتقر تلك القوانين.

سليمان: دعونا نعالج موضوع الصدق والكذب من جميع جوانبه فإذا سألنا أنفسنا هذا السؤال. هل الإنسان العبثي إنسانٌ صادق أم كاذبٌ ماذا ستكون الأجوبة؟

حسام: لا أرى عبقرةً للعبثية بالصدق والكذب.

سليمان: إذا كان الإنسان يعتقد أنّ الكون وجد بالصدفة وكان من الممكن ألا يوجد، وأنّ الإنسان وجد بالصدفة وكان من الممكن ألا يوجد، وأن جميع موجودات هذا الوجود تحركها الصدفة وتسيرها الصدفة، فمعنى ذلك أنه لا يوجد قوانين تنظم هذا الوجود وتضبط مسيرته وصيرورته، وإذا لم يكن هناك قوانين فليس هناك حقائق، وبالتالي تصبح رغباتنا هي الحقائق، ونزواتنا هي القوانين، فالحقّ ما يريده القوي وما يستطيع فرضه، والخير ما ينفع القوي، والجمال ما يلذ له، والعدالة ما تجسد مصالحه.

صونيا: وتصبح مقولة الأخلاق كـم أناس عاجزين لا يستطيعون الوصول إلى أهدافهم فيغطون عجزهم بمقولات الأخلاق، ويصبح الصدق مجرد تبرير الإنسان لعجزه وضعفه أمام نفسه كي لا يتمزق ذلك القناع الشفاف الذي إسمه إحترام الإنسان لنفسه.

ميرفا: بل أظنّ أنّ العبثية تصبح ذريعةً للإنسان ليحقق ما ترسب في لاوعيه من مخازي عبر نقل الوعي إلى خانة الوعي.

ورد: لا أستطيع أن أتصور الإنسان العبثي إلا أنساناً مستبدّاً ظالماً انتهازياً كاذباً. وذلك لسبب بسيط وهو أنّه يعتبر هذه الحياة التي أعطيت له هي فرصته الأولى والأخيرة لكي يرضي جميع شهواته ويشبع جميع نزواته ويحقق جميع رغباته. ولذلك يستعمل كل الطرق التي توصله إلى مبتغاه وأهمها الكذب والمنافقة والمداهنة والمراوغة والإحتيال وهدر كرامات الناس وحتى افتراسهم مادياً ومعنوياً إذا أمكن.

هاني: عرفنا بعض جوانب صدق الإنسان مع نفسه الذي يكرّس هويته ككائن عاقل يسعى دائماً لإكتشاف الحقيقة والتناغم معها. ولكننا لم نتطرق لجانب صدق الإنسان مع الآخرين الذي يكرّس هويته ككائن إجتماعي يفعل في الآخرين وينفعل بهم.

حسام: الإنسان الفرد لا يستطيع أن يرى صورته إلا على مرايا الآخرين. فإذا هشّم تلك المرايا يكون قد هشّم صورته الذاتية ولم يعد قادراً على تلمس ذاته. وإذا ما شوهاها يرى صورته مشوهة على قدر التشويه الذي ألحقه بمرايا الآخرين.

سليمان: لا أستطيع أن أرى صدق الإنسان الفرد مع الآخرين إلا من باب عيش الإنسان في مجتمع متوازن تحكمه قوانين العدالة.

صوبنا: ولكن ما هي قوانين العدالة؟

ورد: لقد قالها سليمان إنها التوازن. التوازن بين الرجل والمرأة، التوازن بين الطبقات والأثنيات والطوائف والمذاهب وجميع شرائح المجتمع، التوازن بين العمال وأرباب العمل، بين الجامعات وسوق العمل، بين النمو الإقتصادي والنمو السكاني وهكذا

ميرفا: ولكن ما علاقة التوازن بالصدق؟

هاني: وكيف ذلك! ألم نقل أن صدق الإنسان مع نفسه هو في التوازن بين غرائزه وعواطفه وعقله، والتناغم بين ظاهره وباطنه، بين وعيه ولا وعيه، بين فكره وبديهيات منطق العقل.

حسام: منذ أيام أفطون وأهل الفكر يبحثون مسألة القدرة على بناء مجتمع متوازن، والجميع عادوا بخفي حنين .

هاني: عندما نرفع الغطاء عن القدر لا نرى في الداخل إلا بيروقراطيات ورأسماليات متوحشة وديكتاتوريات وأنظمة بوليسية، وتبقى العدالة حلم ليلة صيف.

سليمان: الناس بأخلاقهم نوعان أسيادٌ وعبيد.

فالسيد يفكر بصوت مرتفع، ظاهره وباطنه متناغمان، غرائزه وعواطفه متناغمان مع عقله، وهو شجاعٌ غير جبان، وقادرٌ غير عاجز، وصادقٌ غير كاذب. والعبد لا يفكر أبداً ولكنه ينمي غرائزه في الدهاء والكذب والنفاق والإحتيال حتى يصل بتلك الغرائز إلى مرتبة الذكاء فيساعد هذا الذكاء الأسود المتعفن في الوصول إلى الرئاسة والجاه والمال والسلطة. وعندما يصل العبد إلى ذلك يسحب غرائزه تلك على جميع شرائح المجتمع، فيصادر عقول الناس وحررياتهم وكراماتهم، ويجعلهم

يعيشون بانفعالاتهم ونزواتهم وغرائزهم في الطمع والجشع والخوف والدهاء والنفاق، وكل ذلك جداولٌ متفرعة من نهر الكذب المتدثر بالظلم والإستبداد.

صونيا: ولكننا لم نعرف بعد كيف نصل إلى العدالة ليكون الإنسان صادقاً مع الآخرين.

سليمان: المسيرة ستكون خطوةً خطوةً، بدايتها التخلص من سلطة الفرد المستبد الظالم وبناء مؤسسة جماعية للحكم، وثانيها التوازن بين مؤسسات الحكم الجماعية، وثالثها التوازن بين النمو السكاني والنمو الإقتصادي، وبعدها التوازن بين اختصاصات التعليم وسوق العمل وبعدها التوازن بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وبعدها التوازن في الدخل القومي والإنفاق، وبعدها توزيع الدخل القومي حسب الكفاءات والحاجات وهكذا.....

حسام: إذن فلنستعد إلى انتظار ظهور مدينة إرم الأسطورة. أنت يا سليمان تؤمن بالتقمص فقد تستطيع الإنتظار مئة عام أخرى لترى مجتمعك العادل. ولكن ما حيلة من لا يؤمن بالتقمص أتريده أن ينتظر مئة عام أخرى ليرى مجتمعك العادل المتوازن حقيقة على أرض الواقع الإنساني.

ورد: إذن هي ليست إلا أحلام مننتى أدبي لا تغير من واقع الحال شيئاً. أو ربما يقول الجائعون هذا ترفٌ فكريٌ يعيشه من بطونهم ممتلئة.

سليمان: مهما تذاكيتم في تبرير إحباطاتكم يبقى الإنسان كائناً عاقباً وتبقى مهمة العقل هي التفكير بالطرق التي يصل بها إلى الحقائق ليبنى على هذه الحقائق وينطلق منها، فالحياة لها قوانينها وكل سبب فيها يتبع سببه.

الجميع: الحياة لها قوانينها وكل سبب فيها يتبع سببه.

كمال يوسف سري الدين

